

النحو الموازي الذي يجسد مراوغة اللغة تجسيدا فنياً جمالياً، فيعطي للنص خصوصيته البلاغية والإقناعية. فقد وقف عند الآية الكريمة "ولله ملك السموات والأرض وما بينهما"، وقال: "السموات جماع والأرض واحد". فقال: ما بينهما. فذهب إلى لفظ الاثنين، والعرب إذا وحدوا جماعة في كلمة، ثم أشركوا بينهما وبين واحد جعلوا لفظ الكلمة التي وقع معناها على الجميع كالكلمة الواحدة، كما قال الراعي:

طرقاً فتلك هُما همي أقربهما      قنصا لواقح كالقنسي وحولا

وقد فرغنا منه في موضع قبل هذا (22).

ويؤكد هذا الناقد على أن التوجه التعبيري كان لغرض أسلوبية، ويكشف بذلك عن حضور المتلقي في هذه المعالجة، ولهذا يحرص على مثل هذا التخرج الذي يعكس طواعية اللغة العربية ومرونتها التي تسمح بمثل هذا الانحراف الذي قد لا يتماشى والنحو المعياري، ولكنه يعبر عن أوضاع دلالية لا يمكن الوصول إليها إلا بمثل هذا التعديل التركيبي.

ثم إن هذا الدارس كان حريصاً على تتبع هذه الظاهرة بوعي وإدراك كاملين، فقد أشار في نهاية المعالجة إلى ذلك حيث قال: "وقد فرغنا منه في موضع قبل هذا"، ويعني هذا أيضاً أنه كان يستحضر هذه القضية ليكشف عن توافق النص المعقّد والنص البشري.

ويبدو أن النظرة ذاتها جاءت لتؤكد على أن "انشقاق صورة البحث اللغوي والبلاغي في تراثنا العربي إلى شقين، يأخذ فيها البلاغيون عن اللغويين ويتلقون قواعدهم المعيارية للغة القياسية بالتأسيس عليها في عرض صورة عن البلاغة والبيان في اللغة الأدبية الفنية. وتبقى الصورة هكذا، لا يكاد يتقدم أحد من النحاة أو اللغويين باختيار قواعده أو مسأله اللغوية من خلال النصوص الأدبية ذاتها، وتكاد هذه الصورة تلتئم في تراثنا، إلا على أيدي طائفة من المفسرين الذين انطلقوا من منطلق لغوي تسانده المعرفة البلاغية الواسعة والذوق السليم والحس المرهف" (23).

ثم إن تفاعل علوم اللغة العربية، وتداخل حقولها الإجرائية هما اللذان جعلتا ذلك ممكن الوقوع والحدوث، والكشف عنه من خلال ممارسة نقدية رائدة، بفعل الأثر الأسلوبية القرآني، وكان أبو عبيدة يريد الوصول إلى أن هذا الكتاب المقدس هو من جنس كلام العرب، وفي الوقت ذاته يتصف